مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 08 العدد 01 جانفي 2025 ص ص 124ـ142
ر س ع و (ISSN): 2602ـX618 / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

تهديد الحدود الجزائرية بفعل الاعتداءات والتحالفات الخارجية خلال النصف الأول من القرن10هـ/16م

Threatening the Algerian borders through external attacks and alliances during the first half of the 10th century AH/16AD

سماحي جواد♦ ، المركز الجامعي نور البشير بالبيّض

تاريخ الإرسال: 2024/05/08 تاريخ القبول: 2025/01/09 تاريخ النشر: 2025/01/31

الملخص باللغة العربية:

من الواضح أن حدود أي دولة هي إحدى معالم قيامها ورمز من رموز سيادتها ، وبالنسبة للجزائر فإن خطر تهديد حدودها وتقليصها بفعل التعدّيات الخارجية ظهر بصورة واضحة مع نهاية الفترة الوسيطة ، حيث واقع الضعف وانحسار السلطة السياسية في ظل آثار تفكك الدولة الموحدية على بلاد المغرب. وظل الحال كذلك تِبعا لمنطق القوة والضعف ، حتى تحوّل هذا الخطر إلى حركات توسعية تستهدف التراب الجزائري مطلع القرن16م ، إذ سعت الأطراف المبادرة من العالم الصليبي ومعها أخرى من العالم الإسلامي إلى ضرب الوحدة الترابية الوطنية ومحاولة إحلال سلطة أجنبية ، وهي تبتغي من ذلك عرقلة قيام الدولة الجزائرية الحديثة بداية من مرحلة عروج بربروس إلى عهد أخيه خير الدين وخُلفائه ، ليغدو لزاما على الدولة مواجهة هذا التحدي والتأهب لخوضه باعتبار حماية وتأمين الحدود ترسيخا للسيادة. وعليه يبحث هذا المقال في حجم الاعتداءات التي طالت حدود الجزائر ضمن الفترة المحددة ، وكذا أهداف وسبل تلك المحاولات ، مع التطرق إلى المدى الذي وفقت فيه الجزائر في الرد والمقاومة وهي تقارع خصومها.

الكلمات المفتاحية: التهديد ؛ التحالف ؛ الحدود ؛ الجزائر ؛ القرن10هـ/16 م.

Abstract: It is clear that the borders of any state are one of the landmarks of its establishment and a symbol of its sovereignty. As for Algeria, the threat to its borders due to external aggression appeared at the end of the intermediate period, when political authority in the Maghreb weakened as a result of the disintegration of the Almohad state. The situation remained thus, affected by the logic of strength and weakness, until this danger turned into

♦ المؤلف المرسل

expansionist movements targeting Algeria at the beginning of the 16th century AD, as the initiating parties from the Crusader world, along with others from the Islamic world, sought to undermine national territorial integrity and attempt to establish a foreign authority, in order to hinder the establishment of the modern Algerian state, starting from the era of Oruç Barbarossa to the era of his brother Khair ad-Din and his successors. The state was forced to confront this challenge because protecting and securing the borders is a consolidation of sovereignty. Accordingly, the article examines the extent of the attacks on Algeria's borders during the specified period, as well as the objectives and methods of those attempts, while addressing the extent of Algeria's success in confronting its opponents.

Keywords: the threat ; alliance; the border; Algeria; 10th century AH/16AD.

مقدمة:

لم تكتمل عملية بسط السيادة الجزائرية على حدود الدولة وامتداداتها قبل مُضي النصف الأول من القرن16م نتيجة بقاء بعض المدن والمناطق والنطاقات مستباحة إثر التواجد الأجنبي فيها ، ممثلا في الاحتلال الإسباني الصليبي التوسعي باعتباره صورة صريحة للتهديد والاعتداء الخارجي ، ومعه كذلك -بالتزامن والتحالف- قِوى بلاد المغرب المجاورة ، والتي تحكمها أنظمة ما تزال تشعر اتجاه الجزائر بالرغبة في التوسع على حساب أراضيها وممتلكاتها ، مُستحضرة طِباع ومعطيات الفترة الوسيطة ، هذا من جهة. ومن جهة ثانية من خلال بقايا المشيخات التي فرضت سلطتها على بعض الأقاليم والجهات فترة ليست بالقصيرة ، مثلما كان في المتيجة وإمارة زواوة ، وغيرها من المراكز التي بقيت تقوم عليها كيانات ما تزال تابعة لبقايا الأسرة الزيانية في تلمسان وتنس ، وحتى في شرق البلاد استمرت بعض العائلات المحلية تحكم باسم السلطان الحفصي في تونس.

لذلك كانت حدود الجزائر طيلة النصف الأول من القرن16م ، ملتهبة من جهة الشمال والشرق والغرب ، حيث جميع الأطراف أو القوى ذات الجوار الطبيعي أو المفروض بدعوى الحلول التوسعي ، كانت مصالحها تتعارض مع قيام دولة على ما كان يُعرف بالمغرب الأوسط ، فكيف إذا كانت دولة مكتملة السيادة والوحدة الترابية ؟

واستنادا على ما تقدم جاءت إشكالية المقال كالأتي: ما هي صور وطبيعة التهديدات والتحالفات الخارجية ضد الحدود الجزائرية خلال النصف الأول من القرن16م ؟ وكيف استطاعت السلطة مواجهتها والحد من انتشار خطرها ؟

1-أشكال وطبيعة المساس بالحدود الجزائرية:

سلك الخصوم والمناوءون في سبيل إجهاض المشروع المنبعث من الجزائر مستهل القرن 16م -كما أشرنا- سُبل العرقلة والحيلولة أمام تحقيقه ، ومن ضمن ذلك موضوع تقليص الحدود كهدف ابتغُي بلوغه في مبالغ الإستراتيجية التوسعية الخارجية ، وكان يستهدف شقين هما:

أ-تقليص الحدود السياسية: أي نطاق امتداد السلطة الجزائرية القائمة على التراب الوطني والمتسارع انتشارها ، والعمل على حصرها وقصرها ضمن امتدادات ضيّقة تمهيدا لتغييب فاعليتها ومن ثمة إزالتها.

ب-تغيير الحدود الجغرافية: من خلال إحلال سلطة أجنبية خارجية والتوسع على حساب مناطق التخوم وجعلها تحت حكم وهيمنة الأطراف المتوسعة ؛ وهي القوى الخارجية ممثلة في (إسبانيا ، السلطة الحفصية ، السلطة السعدية).

كما جُسّد هذا الهدف أو المخطط الذي هو من استراتيجيات متغيرات وتحركات نهاية الفترة الوسيطة ومستهل الحديثة من خلال:

-جهود خارجية ذات بعد توسعي استعماري غُلّف بالدين ، حتى يُعطَى دعاية وروح القداسة ويثير العواطف ، وهو ما كان مع التعدّيات والحملات الإسبانية الصريحة مطلع القرن16م على (المرسى الكبير ، وهران ، شرشال ، تنس ، الجزائر ، دلس ، بجاية).

-جهود خارجية محسوبة على العالم الإسلامي وهي ضمن نسيجه ، ولكنها أرخت وشائج التحالف والتعاون مع العدو الكاثوليكي في سبيل نيل وطر بقائها كأنظمة حكم ، مع حماية عروشها من الذوبان ، وكذلك طمعا في توسيع أملاها ومكاسبها على حساب الجزائر ، بحيث تعمل كل جهة منها على قضم ما يُجاورها ويتسنى لها من البلاد الجزائرية ، وهذا ما كان مع السلطة في تونس والمغرب الأقصى.

-جهود داخلية تتمحور في القوى المحلية القائمة في الجزائر ، في بعض النطاقات الجغرافية والتي أُحدِث معها وفاق مع الأطراف الخارجية سابقة الذكر ، لخدمة أهداف

مشتركة ، ذات مرام استعمارية للأجنبي ومكاسب ضيّقة للمحلي ، في تفكير من هذا الأخير لاستبقاء سلطتة واستبعاد تهديد مكانته ومصالحه ، وكان هذا التوجه ينشأ بالاستمالة الأجنبية وأحيانا بمبادرة من الداخل.

2- مسألة الحدود ومتغيرات الفترة الحديثة:

إنّ ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة تزامن مع المجابهة العالمية بين الكاثوليكية بقيادة إسبانيا والدولة العثمانية راعية الإسلام -بين الشرق والغرب-، وحصل معه في الجزائر تحالف وتظافر للجهود بين أهالي البلاد من أعيان وفقهاء ورؤساء عشائر مع الإخوة بربروس وجماعة الأندلسيين ، بغرض تأمين البلاد من الخطر الإسباني الجاثم على المنطقة الساحلية ، حيث نتج عن ردّه (الخطر الإسباني) وضع أسس كيان سياسي موحد له عاصمته وحدوده القارة مع كل من تونس والمغرب ، وله مجال توسع في الجنوب الصحراوي[1].

فالعثمانيون آنذاك بدأت تتضح فيهم مركزية وثقل العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن15م ؛ وتحديدا بعد فتحهم مدينة القسطنطينية عام 1453م ، كما كلل نجاهم أكثر بانتصارهم في بسط التحكم على بلاد الشام ومصر[2] ، عقب معركتي مرج دابق والريداينة 1516و1517م.

وأما الإسبان فقد تقلّدوا تاج الكاثوليكية بعد أن كانوا هم سبب إنهاء الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية سنة 1492م ، لينتقل ميدان الحملات الصليبية ضد المسلمين إلى غرب أوروبا ؛ ومنه تحويل الجزء الأكبر من الصراع الأزلي بين الهلال والصليب نحو الحوض الغربي من البحر المتوسط[3].

حيث تزامن تشكّل الوحدات السياسية المغاربية الحديثة مع ظهور المتغيرات الحاصلة في الفضاء المتوسطي ، وهي الحالة التي كانت تطرح إعادة رسم الخارطة السياسية وضبط التموقع لكل من العالمين الإسلامي والنصراني.

1- ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات وأفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية" ، ط02 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014 ، ص ص170-171.

2- إدريس رائسي ، العلاقات العثمانية الأوروبية خلال القرن السادس عشر ، ط01 ، منشورات سوتيميديا ، تونس ، 2023 ، ص44.

3- أحمد سالم ، إستراتيجية الفتح العثماني ، منشورات مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 2012 ، ص116.

يعطينا مارمول كاربخال بصفته شاهد على العصر تحديدا لامتدادات الحدود في بلاد المغرب ، ذلك أن الرجل كان يُسجل ويدوّن المعلومات والمعطيات والإشهادات التي كوّنت محتوى كتابه "إفريقيا" ، في إطار مهمة رسمية كُلف بها من طرف المَلَكية الإسبانية.

وعليه كان المؤلف قريبا من الأحداث وعلى صلة بالحيثيات إذ شارك في الحملة الضخمة التي سلّطها شارلكان على تونس سنة 1535م ، واستمر بعد ذلك يؤدي مهمته الجاسوسية في شمال إفريقيا لمدة جاوزت العقدين ، وهو ما يجعل منه مصدرا مهما بالنسبة لتاريخ القرن16م[4].

وفيما تعلق بحدود المغرب الأوسط أو ما سمي لدى مارمول بمملكة تلمسان يقول:"**يحدها غربا مملكة فاس ، إذ يفصل بينهما نهران (واديان) أحدهما يسمى زيز ويسمى النهر (الوادي) الآخر ملوية... ، ويحد هذه المملكة شرقا الإقليم الذي يسمى إفريقية (تونس)**" ، وهي بحسبه تتشكل من أربعة أقاليم هي تلمسان وتنس والجزائر وبجاية[5].

كما يشير ذات المصدر إلى المخاطر التي ظلت تتهدد الجزائر من قبل جيرانها على الحدود الشرقية والغربية ، من خلال قوله: "**كانت هذه الأقاليم دائما تحت رحمة أعراب الصحاري وملوك تونس وفاس**"[6].

3-الخطر الإسباني على الحدود الجزائرية:

بعد تفوق الإسبان على المسلمين وحكمهم في الأندلس وتمكنهم من جميع أجزاء المنطقة ، اتجهوا نحو إزاحة أي قوة في وسعها عرقلة نزولهم إلى الساحل الإفريقي الشمالي ، إذ لم تكن مآربهم هناك تقتصر على إنشاء المناطق التجارية فحسب ، بل كانت استمرارا على النسق الذي ابتدءوه من الأندلس في مسلك سياسة استعمارية مكتملة

4- مقدمة المترجمين لكتاب مرمول كربخال "إفريقيا" ، يُنظر: مارمول كاربخال ، إفريقيا ، ترجمة محمد جدي وآخرون ، ج01 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، المغرب ، 1984 ، ص ص03-07.

5- مارمول كاربخال ، إفريقيا ، ترجمة محمد جدي وآخرون ، ج02 ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، المغرب ، 1989 ، ص291.

6- مارمول ، المصدر نفسه ، ص291.

الملامح ، فاستُهل مشروعهم باحتلال سواحل وموانئ الجزائر ، المرسى الكبير 1505م ثم وهران 1509م ، والمصير نفسه حاق بالساحل الممتد من تنس إلى بجاية[7].

وأملَ الإسبان من تواجدهم في هذه البلاد على غرار باقي حوض البحر المتوسط ، مواجهة التواجد العثماني وتوسعه ، ومنع إقامة كل مشروع مَركَزة سياسية قوية في المنطقة ، من مقدورها أن تنافسهم في الشطر الغربي من المتوسط[8].

هكذا يظهر أن المغرب الأوسط كان وجهةً للتوسع الإسباني ، متخذا شكل اجتياح للمدن المتاخمة لسواحل المتوسط[9] ، حيث الشريط الساحلي الجزائري كله يوحي بفاعلية جيوسياسية ضمن الفضاء المتوسطي ببعده المغاربي والإفريقي والأوروبي ، وبالأخص المراكز والمدن الواقعة في نقاط التماس والحدود من جهات الشمال والشرق والغرب.

وفي هذه المرحلة كانت الجزائر غير موحّدة إداريا بحيث كان الإقليم الغربي في يد بني زيان ، والإقليم الشرقي تحت يد الحفصيين ، والإقليم الوسطي بين يدي المتغلب من هذا أو ذاك[10].

وانطلاقا من هذا الوضع كان على رأس أولويات السلطة القائمة في الجزائر "مسألة تأمين الحدود وتحريرها" ، وفي هذا المنحى يُشير الأستاذ عبد الله حمادي في سياق ما تناوله ضمن تحقيقه مخطوط "سيرة المجاهد خير الدين بربروس" ، إلى أن نشأة الدولة الجزائرية الحديثة مطلع القرن16م يرجع الفضل فيها إلى خير الدين بربروس ، ذلك أنّ نجاحاته في التحديات التي فرضتها معمعة وظروف وحيثيات الفترة ، يأتي في مقدمتها نجاحه في رسم المعالم الجغرافية للدولة الجزائرية الحديثة ، والتي بقيت -تقريبا- ثابتة من ذلك الوقت إلى وقتنا هذا. ولم يكن ذلك ليتأتى إلاّ بعد مُكابدة نضالية وجهادية مضنية ،

7- فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي "دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية على ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا من مطلع العهد العثماني إلى أواسط القرن19م" ، ط01 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2007 ، ص ص530-531.

8- عبد الحميد هنية ، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال ، تبر الزمان للطباعة والنشر ، تونس ، 2012 ، ص83.

9- ناصر الدين سعيدوني ، ولايات المغرب العثمانية "الجزائر-تونس-طرابلس الغرب" ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014 ، ص20.

10- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج05 ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2015 ، ص173.

أسس لها وقادها المجاهد خير الدين ، استطاعت جعل البلاد تمتد شرقا إلى بونة في حدودها مع تونس وغربا إلى حدود وجدة المغربية[11].

كما تجدر الإشارة إلى أن فلسفة تأسيس وبناء الجزائر الحديثة كانت تقوم على الجهاد البحري بمفهومه الواسع والدقيق ، وعليه تطلّب الأسطول والخوض في البحار ؛ تأمين القاعدة الخلفية ألا وهي اليابسة ، لأن إحكام السيطرة على الحدود البريّة هو دعامة قوية وأساسية للحدود والامتدادات البحرية.

مع الأخذ في الحسبان أن المشروع المنبعث من الجزائر مقتبل القرن16م ، إنما كان يستهدف توحيد بلاد المغرب برمتها ، في توجُّه استراتيجي يُفضي إلى تحرير الجيوب الإسبانية بالسواحل[12]. ولذلك كانت متطلبات هذا المسار تقتضي بالأخص التحام الحدود الوطنية ، تحقيقا للوحدة الداخلية حتى يتسنى المُضي في أي دور خارجي.

وبالرجوع إلى الرسالة التي بعث بها أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأوّل- باعتبارها وثيقة تاريخية وازنة الأهمية والحُجيّة-؛ نقف على مسألة تقلّص حدود البلاد الجزائرية كأهم انشغال للأهالي دعت خطورته إلى طلب العون والمدد من عروج وإخوته في البداية ، ثم الإصرار على بقاء خير الدين وثَنيه عن الارتحال من الجزائر ومغادرتها[13].

حيث وردت فقرة تصوّر واقع البلاد وانحسار أملاكها وحدودها التي استُبيحت بعد مُضي خمس سنوات من سقوط المدن الساحلية والموانئ البحرية الجزائرية والمغاربية في يد الإسبان ، ومما جاء قول الأعيان: "...**إنّ طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الأندلس ، انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد ، غير أنه بعد استلائهم على بجاية وطرابلس يقيت الجزائر بين الكفّار كالنقطة في وسط الدائرة ، وبقينا لذلك حيارى مُتأسفين يحُفّنا الكفّار من كل جانب**"[14]. وتأسيسا على ذلك يمكن اعتبار

11- مجهول ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس ، تحقيق وتعليق عبد الله حمادي ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2009 ، ص19.

12- سعيدوني ، ولايات المغرب العثمانية ، مرجع سابق ، ص27.

13- عبد الجليل التميمي ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م ، **المجلة التاريخية المغربية** ، تونس ، العدد06 ، جويلية 1976م ، ص ص116-121.

14- المرجع نفسه ، ص ص 119-120.

قضية السطو على الحدود الجزائرية في طليعة الهواجس الوطنية التي أثارها الأهالي في هذه المرحلة.

فالتحرّك الخارجي المتصاعد على حساب الحدود الجزائرية هو تحرك توسعي صريح ، يهدف إلى محاولة عزل الجزائر عن القسطنطينية كمركز للتنسيق ، وابتلاعها بين ثلاث أو أربع قوى لها حيال الجزائر أطماع ومصالح متشابهة.

وشهدت الحدود الجزائرية تغيّرا بالتقلّص والتمدد ؛ متأثرة في ذلك بعامل قوة الدولة وقوة الحُكام أو ضعفهما ، وعامل التحالفات ومدى تأثيرها وفعاليتها ، وكذا حال الجبهة الداخلية وطبيعة الولاء الذي يبديه السكان للسلطة القائمة[15]. إذ من الواضح أنّ زيادة أو انحسار حدود دولة أو إقليم ما ، إنما هو انعكاس وصورة معبّرة عن قوة الدولة أو ضعفها ، وهو أمر متصل بواقعها وثقلها السياسي والعسكري ، ومستوى قدرة النظام على التحكم والتأثير في بسط نفوذه داخليا وخارجيا.

ومع استتباب استقرار السلطة المركزية للدولة بمدينة الجزائر بين 1527 و1529م التفت خير الدين إلى تنظيم الدولة ، حيث أخذت تعرف حدودا معينة مع خلفائه الذين كان من حسن تصرفهم في شأن الحدود ، أنّهم لم يتجاوزوها ولم يُحدثوا شقاقا أو نزاعا مع جيرانهم ، إلا في سبيل ضم جميع أرجاء الدولة لبعضها البعض[16].

وهذا وليم سبنسر يوضح بأن الحملات البرية التي وُجّهت من الجزائر شطر تونس خلال القرن16م كان الغرض من ورائها ضمان مسايرة الحكام التونسيين لسلطة الجزائر ضمن إطار الحكم العثماني غير المباشر في شمال إفريقيا[17].

ولعلنا نجد في ما كتبه صاحب تحفة الزائر وصفا يتعلق بلملمة الجزائر حدودها مع بداية النصف الثاني من القرن16م ، وذلك من خلال عرضه لإنجازات ثلاثة من حكام البلاد في هذه الفترة ، كانت جهود كل واحد منهم مكمّلة لسلفه حيث يقول: "**لما فرغ**

15- جون بابتست وولف ، الجزائر وأوروبا 1500-1830م ، ترجمة أبوالقاسم سعد الله ، منشورات عالم المعرفة ، الجزائر ، 2011 ، ص116.

16- نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، دار الحضارة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص70.

17- وليم سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص163.

حسن باشا (آغا)[18] مما دهمه من أمر إسبانيا (يقصد حملة شارلكان 1541م) وانتصر على جيوشها ، وجه وجهته إلى تدويخ البلاد وقطع شأفة الثوار منها ، ولم يزل يجول في الأنحاء ويبثّ الرياسة في الجهات إلى أن دان الناس لطاعته واستردّ مستغانم من يد صاحب تلمسان ، ووصلت جيوشه إلى ما وراء بسكرة والزيبان ثم رجع إلى الجزائر وتوفي بها"[19].

وعن دور حسن بن خير الدين في استعادة تلمسان من المغاربة والذود عن تراب البلاد ناحية الغرب يقول: "**فلما أفضى الأمر إلى حسن باشا استفرغ لقتالهم ، ونهض من الجزائر ، واتصل الخبر بهم فخرجوا من تلمسان وقفلوا راجعين إلى فاس ، واستمر حسن باشا سائرا إلى أن دخل تلمسان فأصلح شأنها وولّى عليها رجلا من بني زيان**"[20].

ومع تولية صالح رايس بقيت ذات التحديّات والمهمّات مطروحة ، بحيث جاء ذكرها في قوله: "**وكانت إسبانيا استولت على بجاية فابتدر صالح باشا إليها ونازلها برا وبحرا ، ثم اقتحمها بجيوشه واستأصلها ، ثم سار إلى قسنطينة فاستولى عليها واقتطعها ، ثم انقلب إلى تلمسان وطرد منها الزياني مع بقايا بني عمه ،... وانتظم المغرب الأوسط كله لصالح باشا من حدود وجدة من بلاد المغرب الأقصى إلى الكاف من بلاد إفريقية**"[21].

4-التهديدات على الحدود مع تونس:

إنّ شرق البلاد الجزائرية من بجاية إلى قسنطينة حتى منطقة الزاب كان تحت حكم الحفصيين[22] ، لكن هذا التأثير تقلّص مع أواخر القرن15م فخرجت بسكرة سنة

18- يطلق المؤلف تسمية باشا على كل حكام الجزائر البايلربايات ، وذلك ما درج عليه كثير من الكتاب ، والمقصود هنا جسن آغا ابن خير الدين بالتبني استخلفه عليه ليحكم الجزائر ويديرها بالنيابة في فترة سفره إلى الباب العالي وقيامه بمهام أمير أمراء الأسطول البحري السلطاني (القبودان) ، واستمر حسن آغا في منصبه من 1533 إلى 1544م.

19- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، تحقيق وعناية داوود بخاري ورابح قادري ، ج01 ، ط01 ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 ، ص122.

20- المصدر نفسه ، ص ص122-123.

21- نفسه ، ص123.

22- توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م ، وزارة المجاهدين ، طبعة خاصة ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2010 ، ص83.

1488م ، ثم انفصلت عنابة سنة 1533م وبعدها قسنطينة في السنة الموالية[23] ، وذلك بفعل الجهود الطبيعية للدولة القائمة منذ العقد الثاني من القرن16م.

ومن زاوية أخرى أدى تركيز السيادة العثمانية على حدود تونس حيث الجزائر وطرابلس إلى إثارة موضوع الحدود ، ومع هذا المستجد تعاملت المؤسسة الحفصية لا بمفهوم الحدود الفاصلة ، وإنما بمفهوم المناطق الطبيعية والحدود أو الامتدادات التاريخية[24].

وقد حظيت البلاد التونسية ببالغ الأهمية والمكانة في اهتمامات الدولة العثمانية ، بوصفها تمثل إلى جانب كل من مالطا وصقلية ونابولي الحدود الإسبانية ؛ التي تفصل غربي البحر المتوسط الخاضع لسيطرة الملك الكاثوليكي عن شرقيه الواقع تحت نفوذ السلطان العثماني[25].

ونعني في هذا السياق الدور الجزائري في لفت اهتمام الباب العالي بتونس ، وإعطاء المسألة صفة الجدّية والإجرائية منذ عزم بايلرباي الجزائر خيرالدين باربروس المضي في إدخال تونس إلى جملة النفوذ العثماني ، إثر توليه إمرة البحرية المركزية السلطانية سنة 1534م[26] ، بل إن غدو تونس من توابع الباب العالي ولو بعد عدّة أدوار وجولات ، يعود الفضل فيه إلى حنكة خير الدين[27].

لأنّ تصور السلطة القائمة في الجزائر كان يرفض -منذ البداية- بقاء خندق مع الجارة الشرقية يهدد البلاد ، والمقصود هنا التوسّع والتمركز والإسباني على السواحل والجهات الغربية لتونس والمتاخمة لمماثلتها في الجزائر ؛ أي في عنابة وبجاية ، ويكاد

23- توفيق البشروش ، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675م ، منشورات أيام الناس ، تونس ، د.ت ، ص28.

24- توفيق البشروش ، مرجع سابق ، ص ص27-28.

25- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية "تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م" ، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة ، ج02 ، ط01 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1983 ، ص347.

26- للمزيد يُنظر: مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة محمد دراج ، دار طليطلة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2015 ، ص ص182-188.

27- ألفونص روسو ، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر ، ترجمة وتحقيق عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا ، د.ت ، ص87.

الأمر نفسه مع السلطة الحفصية الموالية للهابسبورغ والمتحالفة معهم ، بوصفهم ألدّ أعداء الجزائر والدولة العثمانية.

فالتشبث الإسباني بتونس والعمل الدؤوب في دفع العثمانيين عنها ، إنّما ينمّ من حرصهم على حماية مصالحهم في البحر المتوسط من الجزائر إلى طرابلس ، وحتى مراكزهم تلك الموجودة في صقلية ومالطة ونابولي[28]. ومن الدلائل على ذلك حجم الحملة التي أعدها البلاط الإسباني باسم الإمبراطورية المقدسة ، لفك تونس من سيطرة خير الدين بربروس وتمكين حليفهم السلطان الحفصي الحسن[29].

وعلاوة على ما ذكر يرى ابن أبي الدينار أن تمكّن النصارى في هذه الواقعة دفع بالإمبراطور شارلكان إلى التفكير والتحضير لتوجيه حملة مماثلة على عاصمة الجزائر ، وهي حملة 1541م الشهيرة[30].

كما نقف على وثيقة تناولها بالدراسة خليل الساحلي يُلمح من خلالها إلى وجود تنسيق زياني حفصي ضد الجزائر من خلال استهداف البايلرباي خير الدين في حدود 1530م ، بمعنى قبل توليه إمرة الأسطول السلطاني وعزمه توجيه حملة إخضاع تونس والتي كانت سنة 1534م ، وهو ما يجعلنا نقدّر جيّدا حجم الإصرار على إعاقة استتباب شأن الدولة في الجزائر خلال هذه الفترة ، وإن تطلب ذلك تحريك ورصد الوسائل والإمكانيات من الحدود إلى الحدود ؛ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب[31].

وعلى حد وصف جون بابتست وولف فإنّ مسألة تحديد وحسم الحدود الجزائرية مع تونس خلال القرن16م هي الأكثر صعوبة ، ذلك أن حكام تونس الحفصيين كان في إمكانهم ادعاء السيادة على جل المدن والقبائل الواقعة بين مدينتي الجزائر وتونس ، استنادا على السوابق التاريخية[32].

28- فاضل بيات ، مرجع سابق ، ص577.

29- للمزيد ينظر: ابن أبي الدينار ، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، ط01 ، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، تونس ، 1869 ، ص ص152-155.

30- المصدر نفسه ، ص155.

31- للمزيد ينظر: خليل الساحلي أوغلو ، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق ،منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، اسطمبول ، تركيا ، 2000 ، ص ص391-392.

32- جون بابتست وولف ، مرجع سابق ، ص114.

وفي سبيل تأمين الحدود الوطنية بذلت الدولة الجزائرية جهودا كبيرة على مدار القرن16م ، أمكنت التخلص من التهديدين الحفصي والإسباني من خلال ضم حلق الوادي ثم تونس إلى نطاق الدولة العثمانية[33]. وبعد تحرير بجاية عام 1555م بفضل الجهود الوطنية المتواصلة للبايلربايات ؛ تسنى بسط السيادة على امتدادات الدولة في الجهة الشرقية ، ومنه تغيير الحدود التي فرضتها التهديدات والاعتداءات الخارجية في هذه الجهة.

5-التهديدات على الحدود مع المغرب الأقصى:

اتّسمت العلاقة الجزائرية المغربية بشدة التنافس في مرحلة بداية الجزائر العثمانية ، حيث كان موضوع الخلاف خلال القرن16م يتمحور حول مراقبة تلمسان وما يحيطها ، هذه الأخيرة التي بقي حُكامها يمُدّون أواصر التحالف مع كل طرف تُمكنهم معونته البقاء خارج دائرة الخضوع ، سواءً العثمانيون أو الإسبان أو ملوك المغرب[34].

ويبدو منذ وقت مبكر سبق القرن16م تدخل حكام المغرب الأقصى في شؤون الحكم الداخلية للجزائر ، وهكذا درج الحال مرارا على شاكلة بذلهم في عرقلة أولى الجهود الوحدوية التي مشى فيها عروج بربروس ، حينما وصل إلى تلمسان وقضى في سبيل إخضاعها ، وفي هذا المقام أورد صاحب الزهرة النائرة كاتبا: "**فلمّا رأى سلطان تلمسان تيقّن أن لا طاقة له لحرب عروج ، ففرّ من تلمسان بجميع ما احتوت عليه يده من الذخائر والأموال ، فدخل عروج تلمسان وأقام بها سلطانا وأطلق أخوَي السلطان المظلومَيْن ، وذهب الخبيث (سلطان تلمسان) إلى فاس مستجيرا بسلطانها من بني مرين ومستعينا به على ردّ بلاده كما كانت عادة أسلافه مع أسلافه**"[35].

وفي وقت لاحق استغل سلطان المغرب محمد الشيخ هشاشة البلاط الزياني في تلمسان ، فأمر ابنه الحرّان الخروج لاحتلالها في جيش استطاع السيطرة على المدينة ، وبدلا من التحرك نحو الإسبان المتواجدين في وهران. قرر ابن السلطان الجواز إلى مستغانم حيث امتداد السلطة الجزائرية العثمانية. وهو العدوان الذي استدعى ردا قويا

33- المرجع نفسه ، ص115.

34- سبنسر ، مصدر سابق ، ص165.

35- ابن رقية التلمساني ، الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، ضبط وتعليق خير الدين سعيدي ، ط01 ، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع ، جيجل ، الجزائر ، 2017 ، ص ص92-93.

من حسن باشا ، وأودى بحياة كل من في الحامية المغربية في مستغانم ، بداية بقائدها ابن السلطان وأخيه ، فكان من آثار ذلك انسحاب السعديين إلى ما وراء الملوية[36].

ولم تكن هذه الحملة التوسعية وليدة الصدفة فسلطان المغرب سعى لتحقيق هدفه المتمثل في بسط نفوذه على الجزائر ، من خلال إقامة تحالف مع إسبانيا جرى بعد ترتيب محادثات مع حاكم هذه الأخيرة على وهران "الكونت ألكوديت" ، اتفق الطرفان فيها على شن حملة تصل حتى مدينة الجزائر[37].

وكانت المشاهد المُصاحِبة للتقدم والتوغل المغربي في أعماق التراب الجزائري توحي بالوجه الحقيقي للتوسع ، وفي هذا الموضوع جاء في ما كتبه عبد الرحمان الجيلالي أن السعديين بعد احتلالهم تلمسان بسطوا نفوذهم على النواحي ، ونصّبوا أعلامهم على مستغانم وأحوازها إلى حدود شلف[38].

وهكذا اتخذت مطامح السلطة القائمة في المغرب الأقصى على أنقاض حكم الوطاسيين ، من الجزائر مبلغا للتوسع[39]، فمنذ أن جعل السلطان محمد الشيخ من فاس عاصمة لدولته ، لاح ناظره للاستيلاء على الجزائر تصورا منه لأحقيته بحكمها على السلطة القائمة ؛ والتي في نظره تتمثل في الأتراك الوافدين كأجانب. وعلى هذا الأساس تكررت محاولات الاستيلاء هذه مرات متكررة على عهد السلطان المذكور[40].

وككل مرة نجد وراء مناورات وحملات التوسع على الجزائر ، معاضدة ومساندة إسبانية ، إن لم تكن بإيعاز منها[41]. وهناك من يتحدث عن هذا الدعم والتحالف بحيث

36- جواد سماحي ، دور الجزائر في إدارة الصراع الإسلامي النصراني في غرب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن16م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ابن خلدون-تيارت ، الجزائر ، 2022-2023 ، ص152.

37- محمد الفاسي ، المغرب ، تاريخ إفريقيا العام "إفريقيا من القرن16إلى18م" ، مجلد05 ، منشورات اليونيسكو ، مطابع حبيب درغام ، لبنان ، 1997 ، ص244.

38- عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج03 ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014 ، ص86.

39- ينظر: محمد الصغير الإفراني ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تحقيق عبد اللطيف الشادلي ، ط01 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1998 ، ص82.

40- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصر ، ج05 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 ، ص25.

41- فاضل بيات ، مرجع سابق ، 539.

أصبح أمره مفضوحا مُعلَنا ، إلى حد بَدَت فيه حملات السعديين وكأنها تنفيذ لأوامر الإسبان في موضوع المؤامرة الثنائية إزاء الجزائر[42].

بعد الخيبة العنيفة التي انتهت إليها حملة السلطان السعدي محمد المهدي التوسعية على حساب الجزائر في جهة الغرب ، والتي انتهت إلى دفع نفوذ المغرب الأقصى إلى ما وراء وادي الملوية ، وتقديرا منه لضرورة توطيد السلام ولم الشمل ، أرسل السلطان العثماني إلى سلطان المغرب -في مبادرة محمودة- وفدا من كبار العلماء يرأسه العلامة الشيخ محمد بن علي الخروبي[43]، للتفاوض في قضايا ما بعد الواقعة ومن بينها قضية تحديد الحدود بين دولتي الجزائر والمغرب[44]، إذ أسفرت هذه الوِفادة فعلا إلى الاتفاق حول رسم حدود فاصلة بين الجانبين من ساحل البحر إلى الصحراء ، وهي الحدود القائمة إلى يومنا منذ ذلك التاريخ 1553م[45].

ولقد جعلت معطيات القرن16م من التدخل العسكري في بعض الأحيان ، الحل الأليق والأنجع لفك خضوع الامتدادات والمناطق الحدودية لغير الدولة ، ومنع السيطرة الأجنبية ومساعي التواجد والهيمنة الخارجية عليها. وهذا جون وولف يشاطر الجزائر في ردها المخاطر التوسعية حينما يؤكد على التهديدات التي استهدفت ناحيتها الغربية من

42- عزيز سامح التر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، ط01 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1989 ، ص179.

43- ويسمى كذلك محمد بن علي الطرابلسي ، أصله من طرابلس الغرب نشأ في بيت علم وفضل ، ثم ارتحل وأقام بمدينة الجزائر حتى وفاته سنة 1556م. كتب في التفسير والشروح والأذكار وعرف بمنزلته وقدره لدى العثمانيين. للمزيد ينظر: فيصل بن موسى ، السلطة العثمانية وعلماء الجزائر "قراءة في وثيقة عثمانية في النصف الثاني من القرن16م" ، الجزائر ، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس ، **مجلة آفاق فكرية** ، المجلد05 ، العدد 11 ، ديسمبر 2019 ، ص ص14-16. وينظر: الناصري ، الاستقصا ، مصدر سابق ، ص27. كما أورد له عبد الرحمان الجيلالي ترجمة مهمة في كتابه تاريخ الجزائر العام ، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ج03 ، ص ص109-110.

44- يشير مبارك الميلي أن واحدة من أهم مبررات حملة صالح رايس على المغرب سنة 1553م هي قضية استعادة السيادة على الحدود الجزائرية التي طالها التوسع السعدي منذ سنة 1550م ، للمزيد ينظر: مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج03 ، منشورات مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1964 ، ص ص74-84. وينظر: ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار البصائر للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2014 ، ص ص33-36.

45- توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص ص310-311.

طرف الإسبان في وهران وحكام المغرب من جهتهم ، إذ يصفها بالنزعات التي تفرض المواجهة وبالحملات العسكرية الصريحة والمسلحة التي يُقرأ لها ألف حساب[46].

ويوافقه الرأي والقناعة ذاتها حمدان خوجة حينما يتطرق إلى المؤسسة العسكرية للدولة الجزائرية وجاهزيتها وعلى رأسها الأسطول البحري ، فهو يرى أن اتسام استعدادات البحرية الجزائرية بالعنف والضراوة في مواجهة الإسبان ، إنما هو أمر ضروري ومطلوب ، فهؤلاء الأعداء كانوا أخطر على أمن وسيادة المنطقة من غيرهم[47]. والثغور البحرية للبلاد اقتضت تركيز العناية بها لأن أكبر هجمات الأجانب صوّبت نحوها ، ولعل أوضح مثال نجده -كما أسلفنا- في حملة الإمبراطور شارلكان على عاصمة الجزائر سنة 1541م[48].

وفي مرحلة تالية انتقلت الجزائر في سبيل تأمين حدودها الوطنية من رد الفعل الدفاعي إلى الفعل الهجومي الوقائي والاستباقي ، تحاشيا للخطر وإضعافا للعدو في مركز انطلاقه ، وهذا بايلرباي الجزائر علج علي يحرص على نقل المواجهة خارج حدود الجزائر وهو يوجه حملاته على سواحل الأندلس ولأجل استرجاع تونس وتحريرها ما بين 1569و1574م[49].

6-التحالفات الخارجية ضد الجزائر:

كان هدف الإسبان من تقاربهم مع الحكام الحفصيين والزيانيين وكسب موالاتهم ، الوصول إلى تشكيل أحلاف محلية تُخفف الضغط عن حامياتهم المنتصبة في الجزائر ، ومن ثمة دعمها بالإمدادات والاحتياجات[50].

ويبرز خلال القرن16م التقارب المغربي-الغربي كمظهر لتوتر العلاقات الجزائرية المغربية ، إذ من بين أسباب وخلفيات هذا الاضطراب ، تقارب السعديين مع أعداء العثمانيين من الإسبان والبرتغاليين ، وهو أمر بالنسبة للسلطة في المغرب تعاون مع

46- وولف ، مرجع سابق ، ص116.

47- حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2006 ، ص79.

48- نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص86.

49- سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، مرج سابق ، ص ص36-37.

50- سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص17-18.

أعداء الأمس على العثمانيين باعتبارهم عدوا مشتركا ، حيث سيتطور هذا التقارب إلى تحالف ومشروع ضد الجزائر كجزء من الدولة العثمانية[51].

وما يزال التحالف الخارجي على الجزائر في تعاظم ضد مسار استكمال وحدتها واستقلالها ، سيما في وقت انشغال وتفرق جهودها على جميع الجبهات. ففي الفترة الممتدة من 1535م إلى 1555م تزامن فتح الجهات الشرقية للبلاد وتطهيرها من الاحتلال الاسباني ، مع التهديد السعدي للجهات الغربية ، حيث تسامع إلى البايلرباي خبر مؤامرة سريّة تحاك ضد الجزائر في الخفاء ، بين ملك إسبانيا ونظيره المغربي[52].

ومادامت تونس هي الأخرى تحكمها أسرة حفصية شكليا وإرادة إسبانية مؤثرة فعليا ؛ جعلتها توصف بالارتهان والوقوع في الحكم المزدوج المفروض[53] ، فإن وضعها هذا كان يناوئ الدولة العثمانية والجزائر من عهد خير الدين إلى علج علي.

الخاتمة:

استطاعت الجزائر -إلى حد بعيد- حسم الأمر في معركة الحدود ، بنتائج في صالح توجهها وقناعاتها ، ونجحت في إدارتها على خطها الجهادي والدفاعي لصالح الإسلام في وجه المعتدي الأوروبي الغربي وحلفائه ووكلائه. والمقصود هنا معركة الحدود بمفهومها الواسع ، أي الحدود بين الإسلام والمسيحية ؛ بين الهلال والصليب أو الشرق والغرب ، بين لونين أو مكوّنين حضاريين متناقضين ، بين إرادتين تدفع الواحدة منهما نظيرتها أو خصيمتها إلى الوراء.

ثم إن السعي الجزائري إلى فرض السيادة الوطنية على كل جزء من البلاد ، أمر طبيعي يندرج ضمن الإحساس القطري الذي راح ينتاب حكام الجزائر من باب رسم شخصية الدولة بمختلف تمثلاتها ، والتمثل السياسي من باب أولى ، في ظل خصوصية البداية ، بمعنى بداية وضع لبنات الدولة ومؤسساتها أمام إرادة خارجية مصمّمة على التهام هذا المشروع منذ بزوغه.

51- عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر والمغرب 1517-1659م ، رسالة ماجستير في التاريخ ، كلية الآداب بجامعة دمشق ، سورية ، 1983 ، ص151.

52- عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ص89.

53- عبد الحميد هنية ، مرجع سابق ، ص ص75-77.

إنّ ما حصل من هجمات وتهديدات على الجزائر خلال الفترة موضوع المقال ، كان من صالحه استنفاذ جهود الجزائر وتركيزها في باب الدفاع والرد على المواجهة المفروضة ، حيث المقاومة أمر واقع ، بدل المبادرة والاهتمام باستكمال المشروع المسطر واسع الأبعاد.

وكل تلك التهديدات على الحدود الجزائرية أرادت أن تزيد من عمر الفراغ السياسي الناشئ منذ تهلهل أحوال بلاد المغرب عامة ، والمغرب الأوسط على وجه التحديد ، لتُبقيَ هذا الواقع قائما باعتباره يواتي مطامح المشروع التوسعي. لذلك كان التصدي ومنع قيام دولة وطنية جامعة تفرض سلطتها على سائر التراب الجزائري ، سعي حثيث لدى عديد الأطراف ، لأنها أفادت جميعها من حالة الفراغ التي ظلت لعدّة عقود بل قرون.

وهنا نثير التوصيف المُغرض الذي نَعت به الغرب الأوروبي وأحيانا -السلطة في تونس والمغرب- التواجد العثماني في الجزائر وغرب المتوسط ، إذ وَسموه بالاحتلال والتوسع ، فكيف لا ينطبق هذا الأمر على تدخلاتهم ومحاولاتهم الصريحة بلوغ الممتلكات الجزائرية ؟ أليس مجيئهم ينطلق من وراء الحدود ؟ ألم يكن الإسبان وملوك بني حفص والسعديون ؛ المتعاونون مع بعض ، يُشهرون رايات عروشهم وهم يتحركون شطر الجزائر ؟

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي الدينار ، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تونس: مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، ط01 ، 1869.
- الإفراني محمد الصغير ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تحقيق عبد اللطيف الشادلي ، الدار البيضاء ، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة ، ط01 ، 1998.
- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، تحقيق وعناية داوود بخاري ورابح قادري ، ج01 ، الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع ، ط2012 ،01.
- التلمساني ابن رقية ، الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، ضبط وتعليق خير الدين سعيدي ، جيجل ، الجزائر: أوراق ثقافية للنشر والتوزيع ، ط01 ، 2017.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصر ، ج05 ، الدار البيضاء ، المغرب: دار الكتاب ، 1997.
- حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 2006.
- جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية "تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م" ، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة ، ج02 ، تونس: الدار التونسية للنشر ، ط01 ، 1983.

- روسو ألفونض ، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر ، ترجمة وتحقيق عبد الكريم الوافي ، بنغازي ، ليبيا: منشورات جامعة قاريونس ، د.ت.
- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص163.
- كاربخال مارمول ، إفريقيا ، ترجمة محمد جدي وآخرون ، ج01 ، الرباط ، المغرب: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، 1984.
- كاربخال مارمول ، إفريقيا ، ترجمة محمد جدي وآخرون ، ج02 ، الرباط ، المغرب: دار المعرفة للنشر والتوزيع ، 1989.
- مجهول ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس ، تحقيق وتعليق عبد الله حمادي ، الجزائر: دار القصبة للنشر ، 2009.
- مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة محمد دراج ، الجزائر: دار طليطلة للطباعة والنشر ، 2015.
- جواد سماحي ، دور الجزائر في إدارة الصراع الإسلامي النصراني في غرب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن16م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث ، الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ابن خلدون-تيارت ، 2022-2023.

- البشروش توفيق ، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675م ، تونس: منشورات أيام الناس ، د.ت.
- التر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، بيروت ، لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط01 ، 1989.
- التميمي عبد الجليل ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م ، **المجلة التاريخية المغربية** ، تونس: العدد06 ، جويلية 1976.
- الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ، ج03 ، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2014.
- الفاسي محمد ، المغرب ، تاريخ إفريقيا العام "إفريقيا من القرن16إلى18م" ، مجلد05 ، لبنان: مطابع حبيب درغام ، منشورات اليونيسكو ، 1997.
- المدني توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م ، الجزائر: دار المعرفة ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، 2010.
- أوغلو خليل الساحلي ، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق ، اسطمبول ، تركيا: منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، 2000.
- بيات فاضل ، الدولة العثمانية في المجال العربي "دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية على ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا من مطلع العهد العثماني إلى أواسط القرن19م" ، بيروت ، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط01 ، 2007.
- رائسي إدريس ، العلاقات العثمانية الأوروبية خلال القرن السادس عشر ، تونس: منشورات سوتيميديا ،ط01 ، 2023.
- سالم أحمد ، إستراتيجية الفتح العثماني ، مصر: منشورات مؤسسة شباب الجامعة ، 2012.
- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج05 ، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ،2015.

- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات وأفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية" ، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع ، ط 02 ، 2014.
- سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار البصائر للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2014 ، ص ص33-36.
- سعيدوني ناصر الدين ، ولايات المغرب العثمانية "الجزائر-تونس-طرابلس الغرب" ، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع ، 2014.
- عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، الجزائر: دار الحضارة للطباعة والنشر ، 2006.
- عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر والمغرب 1517-1659م ، رسالة ماجستير في التاريخ ، سورية: كلية الآداب بجامعة دمشق ، 1983.
- فيصل بن موسى ، السلطة العثمانية وعلماء الجزائر "قراءة في وثيقة عثمانية في النصف الثاني من القرن16م" ، الجزائر ، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس ، **مجلة آفاق فكرية** ، المجلد05 ، العدد 11 ، ديسمبر 2019.
- هنية عبد الحميد ، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال ، تونس: تبر الزمان للطباعة والنشر ، 2012.
- وولف جون بابتست ، الجزائر وأوروبا 1500-1830م ، ترجمة أبوالقاسم سعد الله ، الجزائر: منشورات عالم المعرفة ، 2011.